

وتنطوي القصة الطوباوية على صعوبات من نوع خاص ، فهي توحى ضمناً بأنها كتبت في وقت ما في المستقبل أبعد مما تصفه أحداثها ، بحيث تقع الأحداث في الماضي النسبي للكاتب الوهمي وإن تكن في مستقبل القارئ . ومع أن القراء اعتادوا القيام بنقلة خيالية من الماضي الذي تكتب فيه الروايات جميعها إلى «حاضر تخيلي» ، فإن نقل صيغة الماضي إلى مستقبل كرونولوجي يحس به الخيال كحاضر تخيلي يعتبر زائداً عن الحد ، فالتخيل التام للمستقبل قلما يتم إيصاله ، وربما كان هذا هو السبب في أن كثيراً من الروايات تبدأ من مشهد معاصر لتعود إليه في ذروة القصة .

إن مدارات الزمن للقارئ والكاتب والموضوع مهمة باعتبارها تعين وتمس الوجوه المتغيرة للحضارة والذوق والثقافة والمجتمع ، وهي تستثير الاهتمام لأنها قد تتطلب استخدام الكثير من الأساليب والأعراف غير العادية .

إن محاكاة واقع فترة ما لم تسيطر دائماً على الروائي التاريخي مثلما هي الحال الآن . فشيكسبير لم يعان قط وخز الضمير الفني عندما سمح لكثير من المفارقات التاريخية أن تتسلل إلى رواياته . وكذلك كانت الحال بالنسبة لكتاب القصة الرومانسية الأولين في فرنسا وإنجلترا ، فهم لم يحاولوا تقديم أبطالهم التاريخيين بما يتمشى مع زمان أولئك الأبطال ، وكانت الموضوعات الكلاسيكية تعالج دون موارد بمفاهيم السلوك والمواقف المألوفة في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان ذلك بطبيعة الحال نعمة للهجائين ، فوجه كتاب مثل سورل (Sorel) وبوالو (Boileau) [١٦٣٦-١٧١١] أمضى سهامهم إلى هذه المآخذ التي تغري بالرمي .